بسم الله الرحمن الرحيم

٣٢ ـ سُورَةُ السَّجْدَة

سميت بها ، لأن آية السجدة منها، تدل على أن آيات القرآن من العظمة بحيث تخرّ وجوه الـكل ، لسماع مواعظها ، وتنزه منزلها عن أن يعارض فى كلامه . وبشكره على كمال هدايته. وهذا أعظم مقاصد القرآن ، أفاده المهايمىّ . وهى مكية ، وآيها ثلاثون .

روى البخاريّ[1] فى (كتاب الجمعة) عن أبى هريرة قال: كان النبيّ ﷺ يقرأ فى الفجر، يوم الجمعة ، آلمٓ * تنزيل السجدة ، وهل أتى على الإنسان .

ورواه مسلم[2] أيضا .

وروى الإمام أحمد عن جابر قال: كان النبيّ ﷺ لا ينام حتى يقرأ الم. تنزيل السجدة، وتبارك الذى بيده الملك .

قال ابن كثير : تفرد به أحمد رحمه الله تعالى .

---

(١) أخرجه البخاريّ فى : ١١ ـ كتاب الجمعة ، ١٠ ـ باب ما يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة ، حديث ٥٢٢.

(٢) أخرجه فى : ٧ ـ كتاب الجمعة ، حديث رقم ٦٥و٦٦ (طبعتنا)

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (الٓمٓ)

[٢] (تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ)

[٣] (أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ، بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ)

« الٓمٓ » تقدم أن هذه الفواتح أسماء للسور « تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ » أى فى كونه منزلا « مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ » أى اختلقه من تلقاء نفسه « بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ » أى يتبعون الحق . وذلك أن قريشا لم يبعث إليهم رسول، قبله ﷺ . فلطف تعالى بهم وبعث فيهم رسولا منهم ﷺ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤] (ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ، مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ، أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)

[٥] (يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ)

« ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

ٱلْعَرْشِ » تقدم الكلام فى ذلك « مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ » أى ما لكم عنده ناصر ولا شفيع من الخلق « أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ » أى تتعظون بالقرآن فتؤمنوا « يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ » أى يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية ، من الملائكة وغيرها ، نازلة آثارها وأحكامها إلى الأرض « ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ » أى يصعد إليه ، أى مع الملك للعرض عليه « فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ » أى مقدار صعوده على غير الملك ، ألف سنة من سنى الدنيا .

قال ابن كثير : أى يتنزل أمره من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الأرضين . كما قال تعالى[1] (ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) الآية . وترفع الأعمال إلى ديوانها فوق السماء . انتهى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦] (ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ)

[٧] (ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ)

[٨] (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ)

[٩] (ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)

« ذَٰلِكَ » أى المدبر « عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ » أى ما غاب عن العباد وما يكون « وَٱلشَّهَٰدَةِ » أى ما علمه العباد وما كان « ٱلْعَزِيزُ » أى الغالب على أمره « ٱلرَّحِيمُ » أى بالعباد فى تدبره « ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ » أى أحكم خلق كل شىء . لأنه ما من شىء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة « وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ » يعنى آدم « مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ

(١) [٦٥ / الطلاق / ١٢] .

نَسْلَهُۥ » أى ذريته « مِن سُلَٰلَةٍ » أى من نطفة « مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ » أى ضعيف ممتهن . والسلالة الخلاصة . وأصلها مايسلّ ويخلص بالتصفية « ثُمَّ سَوَّىٰهُ » أى قوّمه فى بطن أمه « وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ » أى جعل الروح فيه، وأضافه إلى نفسه تشريفاًله « وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ » أى خلق لكم هذه المشاعر ، لتدركوا بها الحق والهدى « قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » أى بأن تصرفوها إلى ما خلقت له .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٠] (وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ، بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ)

[١١] (قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)

[١٢] (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ)

« وَقَالُوٓاْ » أى كفار مكة « أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ » أى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الأرض لا نتميز منه ، أو غبنا فيها « أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ » أى نجدد بعد الموت « بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ » أى بالبعث بعد الموت للجزاء والحساب « كَٰفِرُونَ » أى جاحدون . قال أبو السعود : إضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث، إلى بيان ما هو أبلغ وأشنع منه، وهو كفرهم بالوصول إلى العاقبة ، وما يلقونه فيها من الأحوال والأهوال جميعا « قُلْ » أى بياناً للحق ورداً على زعمهم الباطل « يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ » أى يقبض أرواحكم « ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ » أى بالبعث للحساب والجزاء .

فائدة :

قال ابن أبى الحديد فى (شرح نهج البلاغة) فى هـذه الآية : مذهب جمهور أصحابنا

أن الروح جسم لطيف بخارىّ يتكوّن من ألطف أجزاء الأغذية ، ينفذ فى العروق ، حالّة فيها . وكذلك للقلب ، وكذلك للكبد .

وعندهم أن لملك الموت أعوانا تقبض الأرواح بحكم النيابة عنه . لولا ذلك لتعذر عليه وهو جسم أن يقبض روحين فى وقت واحد فى المشرق والمغرب، لأن الجسم الواحد لا يكون فى مكانين . فى وقت واحد .

قال أصحابنا : ولا يبعد أن يكون الحفظة الكاتبون هم القابضون للأرواح عند انقضاء الأجل .

قالوا : وكيفية القبض ، ولوج الملَك من الفم إلى القلب ، لأنه جسم لطيف هوائىّ ، لا يتعذر عليه النفوذ فى المخارق الضيقة، فيخالط الروح، التى هى كالشبيهة بها، لأنها بخارىّ. ثم يخرج من حيث دخل ، وهى معه .

وإنما يكون ذلك فى الوقت الذى يأذن الله تعالى له فيه وهو حضور الأجل .

فألزموا على ذلك أن يغوص الملَك فى الماء مع الغريق ليقبض روحه تحت الماء . فالتزموا ذلك ، وقالوا : ليس بمستحيل أن يتخلل الملَك الماء فى مسامّ الماء ، فإن فيه مسامّ ومنافذ وفى كل جسم . على قاعدتهم فى إثبات المسامّ فى الأجسام .

قالوا : ولو فرضنا أنه لا مسامّ فيه ، لم يبعد أن يلجه الملَك فيوسع لنفسه مكانا، كما يلجه الحجر والسمك ، وغيرهما . وكالريح الشديدة التى تقرع ظاهر البحر فتقعره وتحفره . وقوة الملَك أشدّ من قوة الريح . انتهى .

والأوْلى الوقوف، فيما لم تعلم كيفيته، عند متلوّه وعدم مجاوزته، أدباً عن التهجم على الغيب وتورعاً عن محاولة ما لا يُبلغ كنهه ، وأسوة بما مضى عليه من لم يخض فيه ، وهم الخيرة والأسوة ، والله أعلم .

«وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ» وهم القائلون تلك المقالة الشنعاء «نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ» أى مطأطئوها من الحياء والخزى، لما قدمت أيديهم «رَبَّنَآ» أى يقولون ربنا «أَبْصَرْنَا

وَسَمِعْنَا » أى علمنا ما لم نعلم ، وأيقنا بما لم نكن به موقنين « فَارْجِعْنَا » أى إلى الدنيا « نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ » أى مقرّون بك وبكتابك ورسولك والجزاء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٣] (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)

[١٤] (فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

« وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا » أى تقواها «وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي » أى فى القضاء السابق « لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » أى سبق القول حيث قلت لإبليس، عندقوله[١] (لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)[٢] (فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ) أى فبموجب ذلك القول لم نشأ إعطاء الهدى على العموم . بل منعناه من أتباع إبليس الذين هؤلاء من جملتهم حيث صرفوا اختيارهم إلى الغىّ والفساد . ومشيئته تعالى لأفعال العباد منوطة باختيارهم إياها . فلما لم يختاروا الهدى ، واختاروا الضلالة ، لم يشأ إعطاءه لهم . وإنما آتاه الذين اختاروه من النفوس البرّة ، وهم المعنيّون بما سيأتى من قوله تعالى[٣] (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) الآية.فيكون مناط عدم مشيئة إعطاء الهدى ، فى الحقيقة ، سوء اختيارهم ، لا تحقق القول . أفاده أبوالسعود . « فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا » أى تركتم الإقرار به ، والإيمان بصدق موعوده ، وعاملتموه معاملة المنسىّ المهجور « إِنَّا نَسِينَاكُمْ » أى جازيناكم جزاء

---

(١) [١٥ / الحجر / ٣٩ و ٤٠] . (٢) [٣٨ / ص/ ٨٤ و ٨٥] .
(٣) [٣٢ / السجدة / ١٥] .

نسيانكم. أو تركناكم في العذاب ترك المنسي «وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أي من الموبقات. والتكرير للتأكيد والتشديد. وتعيينُ الفعل المطويّ، للذوق.

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٥] (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) [سجدة]

[١٦] (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)

«إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا» أي وعظوا «خَرُّوا سُجَّدًا» لسرعة قبولهم لها بصفاء فطرتهم، وذلك تواضعاً لله وخشوعاً وشكراً على ما رزقهم من الإسلام «وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» أي عن الانقياد لها، كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة. قال تعالى[(١)] (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ» أي ترتفع وتتنحى عن الفرش ومواضع النوم. والجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم، وهم المتهجدون بالليل «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» أي داعين له «خَوْفًا» من عذابه «وَطَمَعًا» في رحمته «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ» أي من المال «يُنفِقُونَ» أي في وجوه البرّ والحسنات.

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٧] (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

[١٨] (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا، لَّا يَسْتَوُونَ)

---

(١) [٤٠ / غافر / ٦٠] .

obeikandi.com

[١٩] (أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ)

[٢٠] (وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ، كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ)

« فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم » أى ماذخر وأُعدّ أى لهؤلاء الذين عددت مناقبهم « مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ » أى مما تقرّ به عينهم من طيبة النفس والثواب والكرامة فى الجنة « جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » أى فى الدنيا من الأعمال الصالحة « أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا » أى كافرا جاحدا « لَّا يَسْتَوُۥنَ » أى فى الآخرة بالثواب والكرامة. كما لم يستووا فى الدنيا بالطاعة والعبادة. ثم فصّل مراتب الفريقين بقوله « أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا » أى ثوابا « بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا » وكقوله[(١)] تعالى (كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا) كناية عن دوام عذابهم واستمراره « وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ » أى يقال لهم ذلك ، تشديداً عليهم وزيادة فى غيظهم ، وتقريعا وتوبيخا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢١] (وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

[٢٢] (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ، إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ)

---

(١) [٢٢ / الحج / ٢٢] .

« وَلَنُذِيقَنَّهُم » أى أهل مكة « مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ » أى عذاب الدنيا والجدب والقتل والأسر « دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ » يعنى عذاب الآخرة « لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » أى يتوبون عن الكفر أى يرجعون إلى الله عند تصفية فطرتهم بشدة العذاب الأدنى، قبل الرين بكثافة الحجاب «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ »أى جحدها وكفر بها « إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ » أى بالعذاب ، وإظهار المتقين عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٣] (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ، وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ)

[٢٤] (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ، وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ)

«وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ» أى التوراة « فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ »أى لقاء الكتاب الذى هو القرآن . وعودُ الضمير إلى الكتاب المتقدم ، والمراد غيره على طريق الاستخدام ، أو إرادة العهد ، أو تقدير مضاف ، أى تلقى مثله ، أى فلا تكن فى مرية من كونه وحيا متلقى من لدنه تعالى . والمعنى : إنا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب . ولقّيناه من الوحى مثل مالقيناك . فلا تكن فى شك من أنك لقيت مثله . ونهيُه ﷺ عن الشك ، المقصود به نهى أمته . والتعريض بمن صدر منه مثله « وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ » أى من الضلالة « وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا » أى قادة بالخير يدعون الخلق إلى أمرنا وشرعنا « لَمَّا صَبَرُوا۟ » أى على العمل به والاعتصام بأوامره « وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ » أى يصدقون أشد التصديق وأبلغه . والمعنى : كذلك لنجعلن الكتاب الذى آتينا كه، هدى لأمتك، ولنجعلن منهم أئمة يهدون مثل تلك الهداية. ويؤخذ من فحوى الآية، أن بنى إسرائيل لما نبذوا الاعتصام بالكتاب، ونبذوا الصبر على الأمر بالمعروف والنهى

عن المنكر ، وفقدوا الاستيقان بحقيّة الإيمان ، فغيروا وبدلوا ، سلبوا ذلك المقام ، وأُديل عليهم انتقاما منهم . وتلك سنته تعالى[1] (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ) ففى طىّ هذا الترغيب ، ترهيب وأى ترهيب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٥] (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)

[٢٦] (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ، أَفَلَا يَسْمَعُونَ)

[٢٧] (أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ، أَفَلَا يُبْصِرُونَ)

« إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ » أى يقضى « بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ » أى فيميز الحق من الباطل ، بتمييز المحق من المبطل « أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ » أى يتبين لكفار مكة « كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ » أى الماضية بعذاب الاستئصال « يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ » أى منازلهم . كمنازل قوم شعيب وهود وصالح ولوط عليهم السلام . فلا يرون فيها أحداً ممن كان يعمرها ويسكنها . ذهبوا كأن لم يغنوا فيها . كما قال[2] (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟) « إِنَّ فِى ذَٰلِكَ » أى فيما فعلنا بهم « لَـَٔايَـٰتٍ » أى عبرا ومواعظ ودلائل متناظرة « أَفَلَا يَسْمَعُونَ » أى أخبار من تقدم ، كيف صار أمرهم بسبب تكذيبهم الرسل ، وبغيهم الفساد فى الأرض ، فيحملهم ذلك على الإيمان « أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ » وهى التى جزر نباتها ، أى قطع « فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ » يعنى العشب والثمار والبقول « أَفَلَا يُبْصِرُونَ » أى فيستدلون به على كمال قدرته ووجوب

(١) [١٣ / الرعد / ١١] . (٢) [٢٧ / النمل / ٥٢] .

انفراده بالإلهية . وهـذا كآية(١) (فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ * أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا) الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى:

[٢٨] (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ)

[٢٩] (قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ)

« وَيَقُولُونَ » أى كفار مكة « مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ » أى الانتصار علينا . استعجال لوقوع البأس الربانىّ عليهم ، الذى وعدوا به ، واستبعاد له « إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ » لحلول ما يغشى الأبصار ويعمى البصائر . وظهور منار الإيمان وزهوق الفريق الكافر .

قال ابن كثير : أى إذا حل بكم بأس الله وسخطه وغضبه فى الدنيا والأخرى ، لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون ، كما قال تعالى(٢) (فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ) الآيتين . ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة ، فقد أبعد النجعة ، وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح، قد قبل رسول الله ﷺ إسلامَ الطلقاء وقد كانوا قريبا من ألفين . ولو كان المراد فتح مكة ، لما قبل إسلامهم لقوله تعالى(٣) (قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ) وإنما المراد الفتح الذى هو القضاء والفصل كقوله(٤) (فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا) وكقوله(٥) (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ) الآية وقال تعالى(٦) (وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) وقال تعالى(٧) (إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ) .

---

(١) [٨٠ / عبس / ٢٤ و ٢٥] . (٢) [٤٠ / غافر / ٨٣] .
(٣) [٣٢ / السجدة / ٢٩] . (٤) [٢٦ / الشعراء / ١١٨] .
(٥) [٣٤ / سبأ / ٢٦] . (٦) [١٤ / إبراهيم / ١٥] .
(٧) [٨ / الأنفال / ١٩] .

obeikandi.com

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٠] ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾

« فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ » أى عن المشركين ، ولا تبال بهم ، وبلغ ما أنزل إليك من ربك « وَانتَظِرْ » أى النصرة عليهم . فإن الله سينجز لك ما وعدك ، إنه لا يخلف الميعاد « إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ » أى ما فى نفوسهم . كقوله تعالى(١) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾(٢) ﴿ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَآئِرَ ﴾ أى وسيجدون مغبة انتظارهم من وبيل عقابه تعالى وأليم عذابه بهم .

---

(١) [٥٢ / الطور / ٣٠] . (٢) [٩ / التوبة / ٩٨] .